

# الفصل الثاني

## اختيار الموضوع

# اختبار الموضوع

كتب الباحث في الإعلام برنارد كوهين<sup>2</sup> عام 1963 التالي: «ربما الصحافة ليست فعالة معظم الوقت في إخبار الناس أية أفكار عليهم تبنيها، لكنها حتماً ناجحة بامتياز في إخبارهم بماذا عليهم التفكير». بكلام آخر، المواضيع التي يختارها الصحفيون لا تجذب انتباه الناس واهتمامهم فقط، بل أيضاً تحدّد أجندة المجتمع ذاته. حين ورود أمر ما في الإعلام يعني القول للناس: «هذا أمر مهمّ عليكم التفكير به».

غالباً ما تقوم المنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني بالأمر ذاته، عن طريق التركيز على مسألة واحدة في لحظة محدّدة في الزمن. منذ بداية ما يسمّى «أزمة اللاجئين» عام 2015، أصبحت الهجرة في مركز الاهتمام حول العالم وفي جميع القطاعات تقريباً. لكن حين نتفحص ما الذي يتمّ نشره، لماذا تتمّ تغطية بعض المواضيع وبعضها لا؟ ما هي خليات القرار بتوثيق بعض من جوانب الهجرة وليس غيرها؟

قدّم المشاركون في ورش العمل أجوبةً مختلفة عن هذه الأسئلة. تقول عالمة الاجتماع المقيمة في ليون يلينا هايداروويتش إنّ مسألة الهجرة أكبر من مجرد موضوع: «إنها العالم بأسره. كل ما يتعلق بكيف نعيش حياتنا يستند إلى حركة انتقال البشر. كل الطرق التي أسلكتها تقودني إلى أناس غيّروا بلدانهم ولغاتهم ومدنهم. الهجرة موجودة حولنا في كل مكان». بدأت دزبكينيفا تتنبّه إلى سبب عدم تناول بعض المواضيع في الإعلام حين كانت تتابع دروسها في علم الإنسان الأنثروبولوجيا: «بدأت أتساءل عن سبب عدم تطرق الإعلام لبلدي، كازاخستان. ففي العام المنصرم قمنا بانتخاب رئيس جديد، كما بدّلنا اسمَ عاصمتنا، وهذا بالأمر الضخم، ومع ذلك لم يتناولوه أحد».

وقالت الصحافية نور غصيني من لبنان أنّها تفتقد إلى الإطار التاريخي لمسألة الهجرة متى تمّ تناولها الإعلام: «نتطرق إلى الهجرة، إلى الهوية وإلى الأماط، لكننا لا نعود أبداً إلى الأصول. إلى أولئك الذين رسموا الحدود الجغرافية، إلى أولئك الذين قسّموا العالم إلى مجموعات وقالوا أنت لبناني، أنت ألماني».

بالنسبة إلى كلّ من دزبكينيفا وغصيني، إنّ الأحاديث العميقة والمعقدة عن الهجرة لا تحصل. والأمر يعود جزئياً إلى النقص في التنوّع بين الصحفيين، المحرّرين والناشرين. وكما يقول كوهين: «إذا كان من هم ناجحون ببراعة بطرح الأفكار لا ينتمون هم أنفسهم إلى مجموعات متنوّعة من الناس، فلا

«بكلام آخر،  
المواضيع التي يختارها  
الصحافيون لا تجذب انتباه  
الناس واهتمامهم فقط،  
بل أيضاً تحدّد أجندة  
المجتمع ذاته».

يمكن للقصص أن تكون متنوّعة».



إنّ التنوّع في معدّي المواضيع يُترجم بتنوّع في المواضيع لأنّ المصالح والآراء تكون أكثر تنوّعاً.

يقول سميح محمود، الصحافيّ التصويريّ العامل في مخيمات اللاجئين في لبنان، أنّ الصحافيين المقيمين في المخيمات يتفهّمون هموم الشعب بشكل أفضل: «ما يختلف بالنسبة إلى صحافيّ في المخيم هو أنّ حياتي في حدّ ذاتها عبارة عن بحث. إنّ المواضيع التي أعطيها تتعلّق بوضعي الخاص، وبالتالي لا داعي لإجراء البحث في الخارج».

لكنّ محمود يعارض فكرة أنّ اللاجئين عليهم أن يكتبوا فقط عن «شؤون اللاجئين»، تماماً كما أنّ النساء لا يكتبنّ فقط عن مشاكل النساء وأنّ أقلية محدّدة لا تكتب عن جماعتها الخاصة.

لقد أتاه يوماً صحافيّ وسأله عن رأي سكّان المخيم في الاحتباس الحراريّ، فأجابته: «نحن لا نفكر في هذا الأمر، فنحن نعاني من مشاكل في الكهرباء، والماء، والأمن، وأنت تأتيني لتسألني عن الإحتباس الحراريّ؟» ويضيف محمود: «ثم عدت وقلت في نفسي لم لا؟ على الناس هنا أن يكونوا آراءً في مسائل أخرى أيضاً».

يعمل محمود في المنصّة الإعلاميّة الإلكترونيّة «كامبجي»، التي تحظى بشعبية واسعة في مخيمات اللاجئين في لبنان. ومع أنّهم يغطّون بشكلٍ أساسيّ المواضيع المرتبطة بالحياة في المخيمات، إلّا أنّهم يناقشون أيضاً مسائل مختلفة عديدة.

في أرسيفهم، تقارير مصوّرة عن المساواة الجنسية، عن الجالية الأرمنية في لبنان، عن الثورات، عن الربيع العربيّ، وعن إنفجار مرفأ بيروت في 2020. وهم لا يعتقدون أنّه يجب على اللاجئين أن يحرصوا اهتمامهم في «قضايا اللاجئين». يقول محمود في هذا الصدد: «إنّه مهمّ أن يلعب الإعلام الدور في تثقيف الناس وتوسيع آفاقهم».



لقد عبّر العديد من المشتركين في ورش العمل عن تفضيلهم للقصص القصيرة، أي لمقتطفات من الحياة اليومية للأفراد بما لا يحصرهم في فئات فردية كـ «مهاجر» أو «لاجئ».

يجري سيمون سبيرا طالب الدكتوراه الإيطالي، بحثاً عن موضوع التربية غير الرسميّة ضمن جماعات اللاجئين في لبنان، فيقول: «في علم الإنسان، عادةً ما نبدأ الأبحاث من خبرات الأشخاص الحيّاتية. إنّ بحثي هو عن التربية بشكلٍ

«إنّه مهمّ أن  
يلعب الإعلام الدور في  
تثقيف الناس وتوسيع  
آفاقهم».

عام إنّما تلك المرتبطة بالنشاط السياسي، وهو ينظر بصورة محدّدة الى المبادرات السورية في لبنان.

أهداف الى تخطّي نقطة التريبة لدى اللاجئين كخطّة طوارئ لمواجهة الأزمات الإنسانية، عن طريق النظر الى اختبارات اللاجئين وطرق إنتاجهم أثناء الأزمة.

وبهذا، تكون الوكالة (الإعلامية) مسدّدة الى الإعلاميين الفاعلين أنفسهم».

ويعمل عمر سعادة مع منظمّة غير حكومية دولية أثناء ورش العمل، إذ كان ينتج لها التقارير المصوّرة عن مسائل اللاجئين، وهو يشكو من النقص في التنوّع في المواضيع التي طُلِبَ منه تغطيتها: «لم أجد أيّ قصة تتناول القرى التي نزح منها الأفراد، أو كفيّة عملهم معاً في المخيم، كما ليس ما يأتي على ذكر هذا المزارع (اللبناني) الذي قال أنّه سيأسف فيما لو عاد النازحون الى بلادهم بسبب الصداقات الجديدة والعديدة التي اكتسبها بفضل المخيم».

وصرّحت الصحافية في برلين فاطمة الحجّي التي كانت تعدّ تقارير عن مسائل النازحين في لبنان، أنّها تفضّل هي أيضاً المواضيع اليومية: «إنّ هذه المواضيع تعكس الوجه الإنساني للحياة، ومشقّات الناس اليومية، كما تصوّر خلفيات الناس، وأصولهم، وسبب تواجدهم حيث هم».

حتى لو بدت الكتابة عن حياة الناس اليومية أقلّ تعقيداً، إلا أنّ الواقع مختلف. فـ «المواضيع القصيرة» تتطلّب الوعي نفسه، كما السلوك المنعكس على الذات، والنظر الى الإمتيازات والمقامات.

وأفادت الكاتبة الألمانية سام موستلين أنّه عند البحث عن تاريخ الأقليات في ألمانيا، لاحظت أنّ للقصة أبعاداً عديدة: «كانت هناك وجهات نظر يهودية، وأخرى فئوية ومثلية، ولم تحاكي أيّ منها خبرتي الشخصية».

وشكّكت موستلين في سلطة الكتاب الخاصة عند التطرّق الى موضوع يمكن أن يُطرح من جوانب عديدة: «أعتقد أنّه لا يمكننا أحياناً أن نقدّم الموضوع كاملاً، أي أن نقول الحقائق كافة الخاصة بالناس كافة. بل علينا أن نعي أنّه لا يمكن لأحد أن يجيب على جميع التساؤلات، وكلّ تقرير يبقى جزءاً من خبرة شاملة».

«يجب  
أن نتواصل مع  
الجماعة قبل تحديد  
المواضيع الهامّة».



وذكر العديد من المشتركين في ورش العمل أنّه على الصحفيين أن يبحثوا عن مواضيع تهّم الجماعة التي يغطونها عوضاً عن الحضور مع أفكارهم المسبقة. الحجّي التي كانت قد تناولت مسألة الهجرة في لبنان قالت أنّ صحافية صديقة سألتها عن ماهية المواضيع التي يجب أن تتطرّق إليها في تغطيتها لمخيمات اللاجئين: «نصحتّها أن تتواصل مع الناس مباشرة، لأنّ لكلّ خبرة مختلفة عن الآخر.

طبعاً ثمة مواضيع عامة تهّم الجميع، غير أنّه يوجد أيضاً خبرات فردية عديدة. لذا، يجب أن نتواصل مع الجماعة قبل تحديد المواضيع الهامّة».

وكان لمحمود وزميلته ريان سكر من كامبجي آراءً مشابهة. يقول محمود: «حين نفرغ من الأفكار، نخرج الى الساحات لنحاور الناس. أحياناً، لا نكون بحاجة لنسأل حتى، إذ يقوم الناس في الحال بإخبارنا قصصهم، وبطرح همومهم».

إنّ الناس غالباً ما يطلبون أن يظهروا في تقارير كامبجي المصوّرة. تقول سكر:

«يرسلون إلينا الرسائل عبر الفايبروك، ونحن لا نملك الوقت الكافي للعمل على كلّ هذه القصص. قد يقول أحدهم مثلاً: «أنا أعيش في مخيم نهر البارد، هل يمكنكم عرض قصتي؟» وقد تقول فتاة تلعب بالكرة: «أنا رأيت التقرير الذي أعددتّه، هل يمكنك أن تحضري وتقابليني؟ وهذا الأمر يفرحنا كثيراً».

ومع ذلك، إنّ السماح للجماعات بتعيين المواضيع ليس بالأمر السهل. إذ تلعب عوامل عديدة دورها في تحديد الإطار الذي ستوضع فيه القصة في الإعلام: أرقام القراءات، التمويل، المواضيع التي تهّم الناس في الوقت الحالي (trends).

ويرى سيربا، طالب الدكتوراه في إيطاليا أنّ الطلاب والإعلاميين يلعبون دوراً هاماً في تسليط النظر على العديد من المواضيع. فيقول: «إنّ وسائل الإعلام قادرة أن تنشر الفكر النقدي على إطار واسع، لكنّ الإعلام لا يكون أبداً مستقلاً بصورة تامّة لأنّه مرتبط دوماً بهيكليات سياسية واقتصادية».

وروى المنتج السينمائي سعادة كيف أنّه كان يشعر غالباً بالضغط ليختار المواضيع التي تهّم الممولين. «لقد أعددنا الأفلام لننشر ما يريد مشاهدته الممولون. فنحن إذا أردنا أن نفوز بالدعم المادي، علينا أن نصوّر المأساة، وهذه وسيلة لا تروق لي.

والأسوأ هو الأثر الذي تتركه هذه التقارير على جماعات النازحين. إذ اعتادوا أن يتمّ تصويرهم على هذا الشكل. فحين ذهبت لتصويرهم، ارتدوا هذا الوجه مجدداً».

وقد حاول سعادة في بعض الأحيان أن يقترح على المنظمّة تغطية مواضيع أخرى: «لقد حاولت ذات مرة أن أطرح فكرة تقرير عن الأعراس في المخيم، وعن عزف النازحين المستمرّ على آلات موسيقية، وعن الدور التي تلعبه الموسيقى في حياتهم، فباءت محاولاتي بالفشل. وأنا لا أفهم لماذا يتمّ حرمان الناس من الأساليب التي تجعلهم أكثر قوة؟»

تعتقد سكر من كامبجي أنّ وسائل الإعلام الرئيسية تغفل تصوير الجماعة الفلسطينية في البلاد بصورة واقعية. «هل سبق أن شاهدتم تقريراً عن فلسطيني ينجح؟ والأمر نفسه ينطبق على النازحين السوريين. نحن لا نسمع مطلقاً بقصص إيجابية».



إذا لم تُظهِر الجانب الإيجابي من الحياة، كيف سيحظى الناس بمعرفتهم؟»

تقول الصحافية الأمريكية العاملة في لبنان آبي سوويل: «لقد تراوحت التغطية العامة للهجرة في الأعوام الأخيرة الماضية بين جيّدة وسيّئة، كما افتقرت العديد من التقارير الى العمق. نحن نرى مختلف التغطيات. ففي أوروبا والولايات المتحدة، يتمّ تغطية أزمة النازحين بصورة أساسية من حيث مفاعيلها على الدول المضيفة، عوضاً عن تغطية سبب نزوح هؤلاء الأشخاص». إنّ هذه الوسيلة، بحسب سوويل، «تجرّد أشخاص التقرير من إنسانيتهم، وتخلق الخوف والحقد غير المبرّرين في جانب المشاهدين والقراء».

وتضيف سوويل «أنّ الذعر يتملّك الناس إذ يعتقدون أنّ النازحين سيأتون الى بلادهم ويغيّرون مجتمعاتهم. وحتى لو تمّ تناول القصص الإيجابية، كمثّل قصة السوري الذي فتح محلاً للحلويات في برلين، يتمّ تجاهل ماضي هؤلاء الأشخاص، فرمّوا كانوا من الأطباء في بلادهم قبل الهجرة، ومع ذلك، لا يُذكر هذا الأمر مطلقاً بتاتاً».

وعن عملها الخاص في تغطية الهجرة، تؤمن سوويل أنّه قد يحقّق شيئاً ما: «أعتقد أنّ عملي قد يساعد الناس على فهم محيطهم. إنّ قناعاتي في أنّ للإعلام أثراً مباشراً في الواقع -كمثّل تأثيره في اتّخاذ القرارات- تتضاءل شيئاً فشيئاً. ومع ذلك، أؤمن بأنّه يمكننا أن نساعد الناس على فهم العالم بشكل أفضل. وهذا يعني أنّ اختيار مواضيع جاذبة لا يخلو من الأثر. وإذا سلّمنا جدلاً بمقولة كوهين عن أنّ الإعلام يمكنه تحويل نظر الشعب، فهذا يجعل الأثر عظيماً».

«هل سبق أن شاهدتم تقريراً عن فلسطينيّين نجح؟»

## الأسئلة في هذا الفصل:

لماذا يُكتب عن مواضيع أكثر من غيرها عند تغطية أخبار الهجرة؟

ما الذي يمكن اكتسابه عن طريق القصص اليومية والأخبار «الصغيرة»؟

كيف يمكن للتنوع بين رواة القصص أن ينعكس تنوعاً في القصص؟